ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Counter-Discourse in Historical Imagination: A Reading of Ahmed Daher's Novel "I Was with Bremer"

Asst. Prof. Dr. Mohammed Ridha Abd Al-Sattar Al-Awsi

University of Wasit, College of Arts, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Counter-Discourse; Historical Imagination; Paul Bremer; Arabic Novel

***Correspondence author*:**

malawsi@uowasit.edu.iq

Received: 16 **October** 20266
Revised: 27 **October** 2026
Accepted: 28 **October** 2026
Published: 25 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Al-Awsi, M. R. A. A.-S. (2026). Counter-Discourse in Historical Imagination: A Reading of Ahmed Daher's Novel "I Was with Bremer". *Wasit Journal for Human Sciences*, *22*(4/Pt2). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt2.2369

ABSTRACT

The contemporary Arabic novel has evolved beyond creative work intended solely to entertain readers through its aesthetic qualities; it has become a cultural discourse that seeks to establish an alternative consciousness challenging dominant authority. Historical imagination, as a new narrative identity, constructs alternative histories that question official accounts, expose distortions, and give voice to the defeated and marginalized. This process involves deconstructing the binary relationship between fiction and history and reconstructing them within a narrative identity that neither fully conforms to historical documentation nor adheres exclusively to the aesthetic conventions of fiction. This approach is exemplified in Ahmed Daher's novel I Was with Bremer, which uses historical imagination to challenge dominant historical narratives and reconsider representations of power, truth, and marginalized experiences.

الخطاب المضاد في التخيّل التاريخي قراءة في رواية (كنت مع بريمر) لأحمد دهر

أ.م.د.محمد رضا عبد الستار الأوسي
جامعة واسط ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

المُستخلص

لم تعد الرواية العربية الجديدة عملا إبداعيا ، يسعى لإمتاع القارئ بجمالياته فحسب ، وإنما باتت خطابا ثقافيا يسعى إلى الإسهام في تأسيس وعي جديد مضاد لوعي السلطة كما هو الحال في التخيّل التاريخي ، بوصفه هوية سردية جديدة ، تحرص على خلق تاريخ بديل ، يشاكس التاريخ الرسمي للسلاطين ، ويعرّي أكاذيبهم ويواجه زورهم وتضليلهم ، ويتضامن مع المغلوبين والمهمشين ، وينتصر لهم ويدافع عنهم ، من خلال تفكيك ثنائية الرواية والتاريخ ، وإعادة دمجهما في هوية سردية جديدة ، تمتنع عن الامتثال الكلي لشروط التاريخ ؛مثلما تمتنع عن الامتثال المطلق لشروط الرواية ؛ بوصفها خطابا جماليا يقدم الوظيفة الإنشائية على الوظيفة المرجعية ، كما هو الحال في رواية (كنت مع بريمر) للروائي أحمد دهر.

الكلمات المفتاحية: الخطاب المضاد، التخيل التاريخي، بول بريمر، الرواية

المقدمة

إذا كان التاريخ حوادث الماضي وسجله، فمن الثابت أن معرفتنا بتلك الحوادث تتسم بعدم لاكتمال، وتشوبها الاختلافات بسبب الانحيازات الدينية أو الوطنية للمؤرخين؛ لنجد أنفسنا في نهاية المطاف أمام حشد من الشكوك، التي يمكن أن تجرنا إلى الاعتقاد بأن التاريخ "خُرافة غير متفق عليها" (ديوارنت، ١٩٩٣، ص. ٣٤) وميدان موبوء، يحظى بحراسة شرسة تمنع معرفة ما لا يراد معرفته أو التساؤل عنه، لأن التاريخ ليس ما كان فحسب، وإنما ما يراد له أن يكون، من خلال التواطؤ مع السلطة (اللاوي، ٢٠١٢، ص. ١١-١٢) ولأن المؤرخ لا يتقصى الصحيح ، حين يهمش تاريخ المستضعفين ، ويجنح نحو حافات التزوير ، وتزييف الحقيقة (درّاج ، ٢٠٠٤، ص. ٦) أمام الرواية التي باتت من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تصوير التاريخ ، من خلال تركيب شظاياه المتناثرة ، وإعادة حبكها في لوحة متناسقة بأسلوب أدبي (لوكاش ، ٢٠٢١ ، ٥) بوصفها أحد الأجناس الأدبية التي عدها أرسطو سلفا أكثر فلسفة من التاريخ .

مدخل – من الرواية التاريخية إلى التخيّل التاريخي:

إذا كان الخطاب منظومة من المقولات التي يُدرك بها العالم ، من خلال التناول المطوّل والمفصل لأي موضوع متسم بطابع رسمي (أشكروفت ، ٢٠١٠ ، ١٣٩) وكل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا ، وله "دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع من دون علامة معلنة أو واضحة"(الخليل،٢٠١٤، ١٢٩) فأن الخطاب المضاد يراد به الخطاب الذي يقوّض به الهامش مزاعم المركز بطعونه الموجهة "ضد الإيديولوجيات الإمبريالية المترسخة في الذهن" (أشكروفت، ٢٠١٠ ، ١٢١) ليشكل في نهاية المطاف نسقا ثقافيا مختلفا يعارض الثقافة السلبية السائدة ، ويسعى إلى أن يكون بديلا عنها ، ويحل محلها .

وإذا كان الروائي الاسكتلندي والتر سكوت (١٧٧١ –١٨٣٢) هو المؤسس الحقيقي للرواية التاريخية (لوكاش ، ٢٠٢١ ، ص. ٤٨) الذي امتد أثره إلى الروائي العربي جرجي زيدان (١٨٦١–١٩١٤) إذ كان في نظر الدارسين من أبرز المتأثرين به في الثقافة العربية حين عدّ " نشر التاريخ بأسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته والاستزادة منه " فأن التخيّل التاريخي هو المادة التاريخية المشكلة بواسطة السرد ؛ لإعادة حبك نصوص الماضي في إطار سردي ، يتقاطع فيه التاريخ والخيال ، ويتنازع فيه التخيلي والمرجعي ، لإعادة بناء حقبة من الماضي بطريقية تتداخل فيه الّشخصيات التاريخية مع الشخصيات الخيالية (إبراهيم ،ص . ٢٠١١، ١٠) بقصد إلقاء الضوء على اللحظات الأكثر حساسية، والتسلل إلى دهاليز المسلمات، وإخضاعها للمساءلة وإعادة النظر فيها. لأن التخيل التاريخي يمنح الأصوات المهمشة مساءلة التاريخ الرسمي، وإعادة النظر فيه بعد عقود من هيمنة السلطة المركزية، وممارستها مختلف أشكال الاقصاء والتغييب لتلك الأصوات (داود، ٢٠٢٦، ص. ٦) لأن المتكلم في الرواية هو منتج إيديولوجيا (باختين، ١٩٨٧، ص. ١٠٢ – ١٠٣).

المبحث الأول – خطاب العتبات النشرية وعتبة الاقتباس:

تعد العتبات النشرية في الدراسات النقدية الحديثة من أهم الموجهات القرائية التي تحدد مسار التلقي وتمنح القارئ مفتاح الدخول إلى عالم النص، واستكشاف دهاليزه، وسبر أغواره (حمداوي، ٢٠١٥، ص. ٨–٩) ولاسيما الغلاف الأمامي بما يشتمل عليه من عنوان النص، واسم الكاتب وإجناسية النص، واللوحة التشكيلية أو الصورة الفوتوغرافيه (بلعابد، ٢٠٠٨، ص. ٤٤–٤٥) بحكم موقعه الذي يجعله أول ما يراه القارئ ، ويستوقفه ويثير انتباهه ، فضلا عن الغلاف الخلفي الذي يعد موجها قرائيا آخر لفعالية التلقي من خلال اشتماله على كلمة الناشر ، فالغلاف الأمامي خطاب بصري يكثف دلالات المتن ، من خلال ألوانه ورسومه أو صوره وكلماته (السامرائي ،٢٠١٥ ، ص. ٤٣)

وإذا كان العنوان من أهم عتبات النص الموازي ، وأعلى اقتصاد لغوي ينجز وظائف عدة بدءا من تعيين النص وتسميته ، وتكثيف متنه ، فضلا عن إمكانية نهوضه بوظائف الوصف والشرح والإغواء والإثارة والإشهار (حمداوي، ٢٠١٥، ص. ١٣،٢١، ٣٠) فأن عنوان رواية (كُنْتُ مع بَرَيمَر) يضع القارئ أمام ميثاق سردي يدعوه إلى تقبّل الدخول في اللعبة السردية ، مذكرا إياه بأن ما سيقرأه هو مذكرات عمل الشخصية الأولى مع الشخصية الثانية ؛ مضفياً عليها سمة الوثائقية فضلا عن الواقعية ، في تخيّل سردي مضاد ، لأن العناوين كما يرى رولان بارت أنظمة سيميولوجية تحمل بين طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وايديولوجية (حمداوي، ٢٠١٥، ص. ٢٢) وأن عنوان رواية (كنت مع بريمر) يحيل على سيرة غيرية ، كتبت بعد قيام بول بريمر بكتابة مذكراته ، وإصدارها بعنوان (عام قضيته في العراق – النضال لبناء غد مرجو) من دون أن يبت عنوان السيرة الغيرية فيما إذا كانت هذه المرافقة أو الملازمة من باب الوشاية بالوفاق والمساندة ، والدعم على كل المستويات ، أم كانت من باب المصاحبة بدافع الاختراق والتجسس تحت مظلة الحرب ، التي تبيح للعدو مثلما تبيح لخصمه كل الخيارات ، ولا تحظر عليه أيا منها ، إذ أحال عنوان (كُنْتُ مع بَرَيمَر) على الشخصية الأولى بضمير المتكلم (تاء الفاعل)

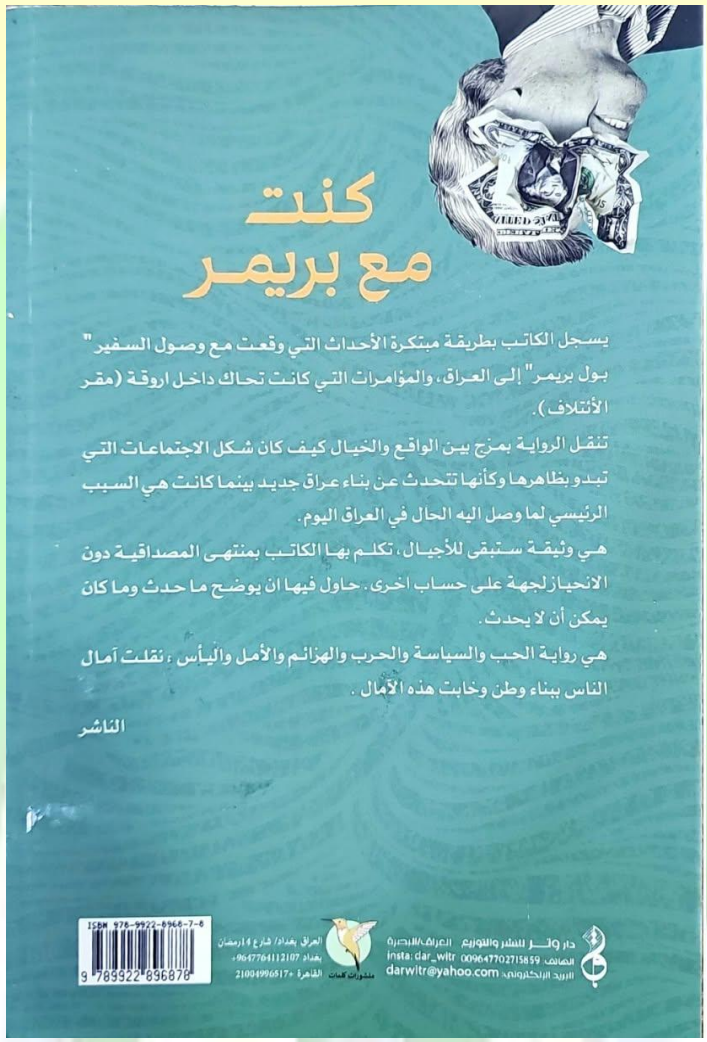
المتصل بالفعل كان (كُنْتُ) الذي أحال بدوره إلى حقبة تاريخية سابقة من الماضي ، وأكد للمتلقي أنه أمام تخيّل تاريخي ، ووجهه نحو ناحيتها حين حدد له حقبتها بالمعية الصريحة مع الشخصية الثانية ، ونعني بهذا الشخصية المرجعية شخصية السفير الأمريكي (بول بريمر) الذي عُيّن حاكما مدنيا للعراق بعد احتلاله في ٢٠٠٣ من لدن التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة (بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٩) وأن الرواية ستعيد سرد سيرة حكمه من وجهة نظر الشخصية الأولى ، التي تبيّن فيما بعد بأنها شخصية متخيّلة ، ونعني بها شخصية المترجم (سامي محمد شداد)، فضلا عن اشتمال صفحة الغلاف الأمامي ذي اللون الأخضر على صورة جانبية لوجه السفير الأمريكي بول بريمر ؛ للوشاية بمقر إقامته في المنطقة الخضراء ببغداد ، والوجه الآخر لصاحبها أمام الوجه الذي حاول بريمر نفسه تشكيل ملامحه في كتابه السيري يوم كان حاكما للعراق المتحل في المنطقة الخضراء ، مع الحرص على إخفاء ملامح وجهه باستثناء ابتسامة خفيفة ، وشيت بالسخرية مما يضمره ويعلنه صاحبها ، بعد أن غطت عيناه وأذنه ورقة دولار معفوسة ؛ وأعلنت سلفا إصابته بعمى بصره وبصيرته فضلا عن إصابته بالصمم ، وعدم المبالاة بمصلحة العراق ، وانشغاله بأطماعه ومصالحه الشخصية بدلا من انشغاله بإعمار ما خربه الاحتلال ، لتتضافر عتبة الغلاف وما فيها من ألوان وصورة فوتغرافية مع عتبة العنوان الرئيس في الإسهام بانتاج الخطاب المضاد في الرواية لما كان يدعيه السفير ويعد به ، من خلال الرمز بهذا كله إلى الدوافع الحقيقية التي جاء من أجلها ، وتأكيد القطيعة بينها وبين مذكراته التي زعم فيها أنه حاكم مدني نزيه ، جاء ليناضل في بناء عراق جديد ، بحسب عنوانها (عام قضيّته في العراق – النضال لبناء غد مرجو) وتمثيل الفجوة الكبيرة بعد تسنمه سلطة الإدارة المؤقتة بين واقع العراق ، وبين إدعائه مرة أخرى بأنه جاء من أجل "المساعدة في إعادة تنظيم الأمور في العراق" (بريمر، ٢٠٠٦، ص. ١٣).

ثم صدم المتلقي بعتبة الاقتباس التي اختارت الاستشهاد بمقولة للشاعر الأمريكي ذي الأصول الصربية تشالز سيميك ، الذي اكتوى في طفولته بنار الحرب العالمية الثانية ، ونقدها بطريقة لاذعة حين قال "لنقصف أحد البلدان بالقنابل حتى يحبوننا" للإعراب عن سخريته الشديدة من العقيدة الاستعمارية التي ظلت تبرر استخدام القوة بحجة نشر السلام ؛ إذ اقتبس الروائي أحمد دهر هذه المقولة ، وجعلها عتبة أخرى لعالم تخيّله التاريخي المضاد حين اسند الاستشهاد بها إلى الرئيس ، من دون تحديد اسمه ؛ تعويلا على (ال) العهد التي أحالت القارئ على الرئيس الأمريكي بوش الابن الذي كان وراء فكرة احتلال العراق وغزوه بالقوة ؛ واعلان ذلك في خطابه المسمى بـ (حالة الاتحاد) الذي استغرق أربع دقائق ؛ وبرر فيه بدء احتلال العراق بذريعة جلب الحرية والديمقراطية لشعبه بالقوة ، فانطوت هذه العتبة على مفارقة حادة بين الفعل وغاياته ، حين راهنت على كسب محبة الضحية باستخدام الجلاد لأبشع أساليب العنف ضدها ؛ في الوقت الذي أثبتت في التجارب والوقائع التاريخية فشل هذه العقيدة الأمريكية ، وأكدت أن العنف لا يخلف في قلوب الضحايا سوى كراهية الجلاد ، ومقته ، ومقاومة مشاريعه وشعاراته الزائفة (الجوهري، ٢٠٢٣، qantara)



ولم تكن عتبة الغلاف الخلفي النشرية أقل تكثيفا أو إسهاما صريحا في تمثيل الخطاب المضاد للتخيل التاريخي في الرواية ؛ لأنها جمعت بين قلب صورة رأس بريمر ، التي وضعت منتصبة في الغلاف الأمامي – قلبها رأسا على عقب للإيحاء بانقلاب النهاية ، وتوظيف الخطاب البصري في إعلان فشل أجندة المحتل ، وتمثيل سقوط سلطته بتنكيس صورة ممثله ، فضلا عن الرمز إلى إهانة سلطة الاحتلال وسقوط هيبتها ، من خلال إظهارها بالضد مما بدت عليه ، أو حاولت أن تبدو عليه في البداية ؛ بوصف ممثلها حاكما للعراق بعد احتلال ٢٠٠٣ ، إلى جانب كلمة الناشر التي كثفت رؤيته ، التي أكد فيها على وثائقية الأحداث التي مثلتها الرواية ، وإيجاز هذا بقوله أن الرواية رصدت "المؤامرات التي كانت تحاك داخل مقر أروقة الائتلاف " وأنها ستبقى وثيقة وذاكرة" نقلت آمال الناس ببناء وطن وخابت هذه الآمال "أمام التاريخ الذي لم يعد صانعا للحقيقية (اللاوي، ٢٠١٢، ص. ١١– ١٢) لاشتغاله في حقل مختلف عن حقل الرواية؛ بوصف "التاريخ هو رواية ما كان والرواية تاريخ ما يُمكن أن يكون" (ثامر، ٢٠١٨، ص. ٩) وأن الأول يستنطق الماضي ويعيد

انتاجه سلطويا في ثنائية تتحدث عن منتصر جدير بانتصاره ، بينما يعمل التخيّل التاريخي على مساءلة التاريخ ، وعدم الامتثال لآثاره، ويسعى إلى صنع واقع سردي على انقاض الواقع التاريخي المتحقق بعيدا عن الرواية التاريخية التقليدية التي تحاكي التاريخ وتمتثل له ، وتتحالف معه في حجب الوجه الآخر للحقيقة عن القارئ (الغزي ، ٢٠٢٥ ، .alsabaah.iq)



المبحث الثاني– بناء الشخصيات بين المرجعي والسردي:

أولا – شخصية المترجم (سامي) من الوظيفة إلى الاختراق:

لقد تقدم القول بأن التخيل التاريخي هوية سردية جديدة ، تجمع بين التاريخي والسردي ، ومن الثابت أن الشخصيات بحسب تقسيمات فيليب هامون أما أن تكون واقعية أو إشارية أو مرجعية ؛ ومن هنا انشغل خطاب الرواية ببناء شخصياته المتخيلة سواء كانت رئيسة أو

ثانوية أو هامشية ، وأقحمها في علاقات مع الشخصيات الأخرى ؛ وإذا كانت الشخصية الواقعية هي الشخصية المبتكرة خياليا لخلق الإيهام بواقعية عالمها المتخيّل من خلال العناية ببنائها نفسيا ، واجتماعيا وأيديولوجيا فأن شخصية (سامي محمد شداد) الرئيسة في رواية (كنت مع بريمر) تم بنائها من خلال العناية بتشكيل أبعادها الخارجية والداخلية ؛ إذ شرع في تشكيل بعدها الخارجي باختيار اسمها الثلاثي الذي وشي سلفا بعمق جذورها ، وبمنظورها ، وتوجهها ، ومصيرها ، وتطابق ظاهرها وتكامله مع باطنها ؛ لأن اسمها لم يشِ بالرفعة والشرف والعلو بحسب الجذر اللغوي لاسمها الأول (سامي) (ابن منظور، ٢٠٠٣، سما) فحسب ، وإنما وشي بدينها أيضا ، إن لم نقل بتشددها في ثوابته وأصوله ؛ لأن (سامي) كان من عائلة مسلمة بقرينة اسم والده ، الذي سمي على ما يبدو تيمنا باسم النبي (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ، الدال على المبالغة في حمد من كثُرتْ خصاله الحميدة ، وكان مرضيا عنه ، وجديرا بالثناء باستمرار (ابن منظور، ٢٠٠٣ ، حمد) وأن (سامي) من عائلة شجاعة بقرينة اسم جده (شدّاد) الدال هو الآخر على المبالغة في الشدة والقوة والشجاعة (ابن منظور، ٢٠٠٣، شدد) ، وفضلا عن هذا فأن سامي لم يكن طائفيا ، وإنما كان أنموذجا للفرد العراقي ، المنحدر من التعايش والتصاهر بين أكبر طائفتين دينيتين عراقيتين ، مؤكدا هذا في رده على سؤال بريمر له : هل أنت شيعي أم سني ؟ بقوله "أنا خليط بين هذا وذاك ...أبي وأمي من الطائفتين" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٦) مفصحا بهذا عن الفجوة الكبيرة بين توجهه وتوجهات بريمر العنصرية، وأجنداته الخبيثة، من خلال تساميه عن الانتماءات الطائفية، واختلافه مع رغبة بريمر في تغذيتها وإثارتها؛ من أجل بث الفرقة بين أطياف المجتمع العراقي، وتمزيق نسيجه، وتفتيت وحدته وإضعاف قوته واستنزافها بالخلافات والاقتتال الداخلي.

ثم واصل خطاب الرواية بناء شخصية (سامي) على المستوى الداخلي، وبين أنه ينحدر من عائلة مهمشة؛ عجز معيلها عن تأمين حياة رغيدة لأفرادها؛ ليكون ابنها سامي صوت الهامش / المترجم أمام صوت المركز / المتكلم بريمر، لأن والد سامي "عَمِل أعمالًا لا تعد ولا تحصى، وكانت غايته هو تأمين الغذاء فقط، لم يكن يسعى إلى جمع الثروات، وتوفي متعبًا حين كان عمري يومها أثنى عشر سنة، وأكمل المشاق بعده أخي الأكبر، وكنتُ الوحيد الذي أكمل تعليمه في العائلة" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٤) وقد تخرّج سامي بترتيب الأول من قسم الترجمة!! واتقن التحدث باللغة الانكليزية باحترافية!! ولكن هذا لم يخفف من معاناته؛ لأن والده لم يترك له ولأشقائه سوى منزل صغير جدا، لم تتعدَ مساحته سبعين مترا في حي البتاوين، الذي أصبح بعد ٢٠٠٣ مأوى للمشردين!! والطبقات المعدمة والأكثر فقراً!! والعمال الأجانب ذوي الدخل المحدود ، وقد أفصح سامي عن معاناته من السكن في هذا المنزل باستعمال لفظة (نتكوم) وهي لفظة عراقية دارجة ، تعبّر عن التكدس في المكان بطريقة عشوائية ، والتجمع بطريقة تسلب راحة المحشورين فيه ، وتضطرهم للتنازل عن خصوصياتهم ، مقابل الرضا بإيوائهم في مساحته الصغيرة ، وتكثيف هذا بقوله "كنا نتكوّم به أنا وأمي وأخي وأخواتي الثلاث وانا أصغرهم"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٣) الأمر الذي جعله تحت ضغط هائل يحمله على اغتنام أي فرصة تنتشله من هذا الوضع البائس ، وسرعان ما وجد في إشارة أحد أصدقائه ما كان ينتظره من حلحلة وضعه الحرج بعد أن أكد له صديقه "أن القوات الأمريكية قد أعلنت عن حاجتها إلى مترجمين"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٩) فأسرع إلى تقديم أوراقه إلى اللجنة المسؤولة عن استلام الطلبات ، ثم سمع من خلال

نشرات الأخبار التي كانت تذاع بالراديو في"يوم الأثنين، الموافق ١٢ من شهر مايو(أيار) لعام ٢٠٠٣، قد وصل إلى بغداد الممثل عن الأمم المتحدة، السفير (بول بريمر)، وسيكون الحاكم المدني للعراق، عوضًا عن الحاكم العسكري (جاي غارنر)"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٧) ثم أعلمته اللجنة المسؤولة عن المقابلات بالموافقة على عمله مترجما للسفير الأمريكي بول بريمر بعد أن أثبت تفوقه على بقية المتقدمين في المقابلة ، ولكن من دون أن يشك في زيف شعارات المحتلين الذين زعموا فيها بأنهم ناشروا الحرية والديمقراطية ؛ لتيقّنه من"أن لاخير يأتي مع احتلال "(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٩) ولاعتقاده"بأن جميع ما يحدث بالخارج من مصائب مصدره من هنا"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ١٢٦-١٢٧) أي من مقر سلطة الائتلاف المؤقتة ، بعد أن أثبتت له الوقائع صحة رأيه في جيش الاحتلال الأمريكي ؛وما عُرف عنه"بعدم رحمته وتوانيه عن القتل السريع"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٢) وأنه لم يأت من أجل التحرير ، ولا من أجل السيطرة على النفط فقط ، وإنما من أجل مآرب أخرى جعلته يخشى"من قادمٍ أسوأ"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٣) ولا سيما بعد أن وُجِهَت له في المقابلة أسئلة عدة ، واستفزه سؤالهم له : هل أنت شيعي أم سني ؟ وإجابهم بأنه خليط بين هذا وذلك، ثم انتهت مقابلته، وأخذت صورته عن"الحرية والديمقراطية الأمريكية ... تهتز قليلًا"ولم يتردد عن الإفصاح عن هذا، حين قابل بول بريمر في القصر الرئاسي، وقال له"هلو مستر سامي. – هلو سعادة السفير. – لم أعد سفيرًا، أنا حاكم العراق الآن. قال وهو يبتسم وحين لم يرَ مني جوابًا، قال: – لقد أجمعت اللجنة التي أجرت المقابلة على أنك أكفأ المتقدمين من حيث اللغة، ومن حيث سجلك المدني. – شكرًا لك. – هناك عدة أسئلة أريد لها أجوبة منك. – تفضل حضرتك ...ما رأيك بسياسة الولايات المتحدة؟ – قبل أم بعد دخولها للعراق؟ ابتسم وأقترب بجسده إلى المكتب، وقدم ساعديه ووضعهما على المكتب، وقال: – في البداية دعني أسمع قبل دخولنا. – كنتُ أرى فيها من خلال السينما وما تنقله عن الديمقراطية الممارسة في أمريكا، كنتُ أرى أنها بلد حلم العيش الكريم. – وبعد دخولنا – الدمار الذي طغى على بلدي جعل هذه الصورة تهتز، وأصبحتُ أنظر بشكل مختلف. – لا أريدها أن تهتز سامي، فصدقني أننا نسعى إلى إعادة مكانة العراق بين الدول، ونحن جاديين في أعمار البلد. – هذا ما أتمناه ويتمناه شعب عانى مالم يعانيه أحد. – أعدك بذلك. – من هذه اللحظة ستبدأ عملك معي، وستكون من ضمن طاقمي"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٢٧) ولكن سامي لم يعمل مع بريمر بقصد إعانته على تنفيذ ما جاء من أجله سرا ؛ مقابل الحصول على الكرين كارد ، واللجوء مع عائلته إلى الولايات المتحدة ، كما شاع عن الولايات المتحدة بمساومة المترجمين في وقتها ، وإنما عمل معه بقصد اختراق المنطقة الخضراء ، وكسر الطوق الأمني الذي كان يتحصن خلف أسواره الحاكم بول بريمر ، ومعرفة ما يُدبّر للعراق في الخفاء من مخططات ، وما يحاك له من مؤامرات "أنني متمسك بالعمل، لأَعلَمَ بما يدور تحت الطاولة وفوقها، ولعلني أستطيع أن أكشف بعض من مخططاتهم،(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٦٠) والإسهام في إفشالها ؛ لاقتناعه بأن الأمريكان لم يأتوا" لسواد عيوننا؟ فلا يوجد دولة كبرى تقدم خدمات بالمجان، أنهم جاءوا لخيرات هذا البلد، ولن يتركوه حتى يمتصوا أخر قطرة فيه"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٨) ولهذا أكّد (سامي) لصديقه(مؤيد)الذي تطابقت مواقفه تجاهه بالتأييد والمساندة، تناغما مع دلالة اسمه على ذلك، بأن الهدف من عمله مترجما لبريمر هو أن يكون "على مقربة من خططهم، ونعرف الحقيقة بأعيننا لا من خلال الشاشات"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٩٤) وأنه لن يستمر

معهم، وانه سيتركهم بمجرد أن يرتّب وضعه المالي قليلا (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٨) من دون أن يستبعد دفع حياته ثمنا لذلك؛ بعد أن هدده الملقب بـ (محمود أبو اذان) في زمن النظام السابق بالقتل إن لم يترك العمل مع الأمريكان، وذلك حين قال لصديقه (مؤيد)"يوم أمس وجدتُ (محمود الأفرار) هو وزمرته ينتظروني، وقد هدّدني بقتلي إن لم أترك العمل"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٦٥) في مفارقة ساخرة أو كوميديا سوداء؛ حولت من كان يأتمر بأوامر نوسة "العاهرة"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٦٦) ومن قطعت أذنه بسبب فراره من الخدمة العسكرية – حولته إلى مقاوم يتبجح بالشرف والشجاعة والوطنية، على الرغم من قول (سامي) له" أنا لا أعمل بنية المساعدة، أنت تعلم بظروفي وظروف عائلتي، ما أنا الا مُتزِجم، والنقود التي أحصل عليها أريد أن أعين بها أهلي"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٥٢) وأن الشعور بالاشمئزاز من رؤية المحتلين لم يفارق سامي يوما ما، وظل ملازما له (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٦١) وأنه اتخذ من عمله غطاء لاختراق دائرة بول بريمر، وسعى إلى الكشف عن مخططاته ومؤامراته، وظل يفكر بالعمل الذي يمكنه من الإسهام في " تفشيل (كذا) مخطط الامريكان لتمزيق العراق أكثر"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١١٨)ملقيا باللوم على كل من لم يتفهّم، أو يفهم الأسباب الحقيقية التي حملته على قبول العمل مترجما لبول بريمر ,ولو كانوا يفهمون لطلبوا من الجميع أن يعمل معهم، على الأقل نكون على قرب لكل ما يحدث، ونفهم ماذا يخططون بمجيئهم، فإنْ كان خيرًا وقفنا معهم لبناء الخراب، وأن كان شرًا منعناهم بإلحاق الضرر بنا"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٢١) وسرعان ما أثبتت الأحداث صحة ما توقعه (سامي) ؛ إذ تبين له بعد أن لاحظ قصاصة صغيرة على مكتب سكرتير بريمر كتب عليها ثلاثة أسماء: عبد الرحمن ياسر ناظم من الأعظمية ، وكريم حسن شاهد من الكاظمية ، ومقداد نمير يوسف من الغزالية ، ثم تبين له بعد التحري عنهم أنهم مجرمون ، وأرباب سوابق وطائفيون ومدعمون من سلطة الإئتلاف وخبراء متفجرات"فعلمت أن هناك مؤامرة مخيفة تحاك للبلد ...نحن ذاهبون لحرب طائفية"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص.٩٨،١١٧،١٣١)وأن بريمر وبوش يتآمران" لتمزيق العراق تحت سقف مقر الائتلاف"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٢٤) من خلال سيناريو خبيث ، لم يترك أمام (سامي) سوى المضي بكشف أسراره من خلال المجازفة بالتسلل إلى مكتب بريمر ، واختراقه لالتقاط بالقلم الكامرة صورا للملفات السرية التي تثبت وجود مخطط أمريكي لإشعال الحرب الطائفية ، وتقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم"توجهتُ بخطى نعام إلى غرفة مكتب بريمر، ... وصلتُ الباب وفتحته ...وأخرجتُ القلم ورحت أضغط على أعلاه لكي يلتقط الصور، بدأت بالورق الذي على المكتب، ثم فتحتُ الادراج وجلستُ بقربها، ...وبعد أن صورتُ ما أستطعتُ تصويره، من الملفات والورق الذي على المكتب، أغلقتُ الادراج، وأعدتُ القلم"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٥٣) ولم يخطر بباله أن الصحفية (روان/ليا)التي أعطته القلم كانت عميلة لبريمر نفسه؛وأنها كانت مكلفة بمراقبة تحركاته ورصد أنشطته ، وإطلاع بريمر على ذلك أولا بأول ؛ لأن بريمر قال له بعد أن استدعاه" اكتشفتَ بعضَ(كذا) من تفاصيل المخطط، فوضعنا في طريقك (ليا) لنرى ماذا ستفعل، وهل تجازف بنفسك من أجل فضحنا؟"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ١٦٤) وهو ما قام به (سامي) حين ناول (روان) الملفات التي صوّرها ، وحولتها إلى مقالة ؛ ليتفاجأ (سامي) بجلوسها في مكتب بريمر حين استدعاه ، وطلب منه الحضور إلى مكتبه ؛ إذ رأى"(روان) تجلس على الأريكة، وتضع ساقًا على ساق، وابتسامة ساخرة على وجهها، ...كانت نظرتها صلبة وخالية من الحياء، ... أدرتُ وجهي ونظرتُ لبريمر، وشعرتُ أن نهايتي

دنت... عندها قال بريمر بصوت مليء بالثقة والسخرية: يبدو أنك فهمت كل شيء، ولا حاجتي للتوضيح... فأكمل يقول:– دعني أعرفك بضيفتي (ليا)، أمريكية، من أب عراقي، وأم أمريكية "(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ١٦٢) فأدرك (سامي) السر الذي جعل (روان/ ليا) تخونه وتشي به ؛ لاعتقاده أن " الأم العراقية لبنها لايخون "(دهر، ٢٠٢٥، ١٦٢) طبقا للمثل الشعبي العراقي القائل(الما يسوكه مرضعه سوك العصا ما ينفعه) الذي أكّد على أثر حليب الأم في حسن خلق المرء ، بوصفه المُوجِه الأول لسلوكه ، واقترانه بطهارة حليب أمه (حليبه طاهر) ولذا لم يكترث (سامي) بما آلت إليه الأمور ، ولم ينل منه الخوف ، ولسان حاله كان يقول هذا هو حال من كان حليب أمه طاهرا ؛ فاختار المضي في مواجهة بريمر وعميلته حتى آخر لحظة جمعتهم ، ولم يجد أبلغ من البصق في وجهيهما للرد عليهما ؛ لاعتقاده أن"الكلام مع الموتى لا نفع فيه ، ولا رجاء.ثم أدرت لهما وجهي، فنظرا لي، فبصقتُ في وجهيهما"(دهر، ٢٠٢٥ ،ص. ١٦٢) غير مبال بالمصير المحتوم الذي توقعه منذ اللحظة التي قرر فيها العمل مترجما بقصد اختراق المنظومة الأمنية التي حرص بريمر على إحاطة نفسه بها ، فكان رد بريمر على هذه الإهانة الكبيرة بانتظار (سامي) خارج مقر سلطة الائتلاف على يد المسلحين الملثمين التابعين له ؛ فما أن خرج من المقر حتى وجد " سيارة بيك أب، يجلس رجلان في الخلف، يغطيان وجهيهما بقبعات عسكرية سوداء، ولا تخرج منها الا عيونهما، حين رأيتهم ألتفتُ إلى الجنود الأمريكان فابتسموا بسخرية، فرددتُ عليهم بابتسامة مثلها.عرفتُ أن النهاية قربت، نظرتُ للسماء والغيوم المتدافعة، وقلت في نفسي: أيها الرب، خفف من ألم فقدي على قلب أمي، وليبقى العراق عظيمًا.اخترقت أربع رصاصات جسدي"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ١٦٢) ليرسم بهذه النهاية المشرّفة لوحة مغايرة ترد بخطابها المضاد على كل من ظن أن (سامي) ارتضى أن يكون عميلا لبريمر ، يوم وافق على العمل مترجما له ، وأنه لم يعمل من أجل أن يبيع وطنه مقابل ثمن اللجوء إلى أمريكا ، كما هو الحال مع كل من عمل مع القوات الأجنبية التي غزت العراق في ٢٠٠٣ بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحصل هو وعائلته على تأشيرة اللجوء الخاصة (support.iraplegalinfo.org، الانترنت) .

ثانيا– شخصية الدبلوماسي بول بريمر من سفير ماهر إلى حاكم فاشل:

إذا كانت الشخصية المرجعية بحسب طروحات فيليب هامون هي الشخصية التي تحيل إلى شخصية حقيقية ذات وجود تاريخي ، خارج النص يقترن استدعاؤها باستحضار ذاكرة القارئ التاريخية عنها ، (هامون ، ٢٠١٣ ، ص. ٣٥)فأن شخصية السفير الأمريكي بول بريمر هي الشخصية المرجعية التي تم استدعاؤها في رواية (كنت مع بريمر) باعتبار أن بول بريمر دبلوماسي أمريكي ، وأحد كبار الموظفين في وزارة الخارجية (بريمر ، ٢٠٠٦ ،ص. ١٠) وقد اختير بدلا من اللواء الأمريكي المتقاعد جاي كارنر لمنصب مبعوث الرئيس الأمريكي جورج بوش ، لأن بريمر بحسب رأيه"أمتلك المهارات والخبرة المطلوبة لهذا المنصب أنهم مهتمون أن أتولى إدارة العراق المحتل"(بريمر،٢٠٠٦،ص. ١٤) وأن توافره على المؤهلات اللازمة للنجاح في هذه المهمة ، لم تترك للرئيس الأمريكي جورج بوش الابن سوى الوفاء"بوعده، وسلّمني في ٩ أيار/مايو رسالة بتعييني مبعوثاً رئاسياً إلى العراق ومنحني سلطة تامة على موظفي الحكومة الأميركية وأنشطتها وأموالها هناك. وتبعه رامسفيلد، بتعييني مدير سلطة الائتلاف المؤقتة، وتفويضي بكل الأعمال التنفيذية والتشريعية والقضائية في

العراق" (بريمر ، ٢٠٠٦ ،ص. ٢١) فكان مبعوث الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى العراق المحتل ، ومدير السلطة المؤقتة فيه " وصاحب السلطة العظيمة الوحيد"(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ١٠)الأمر الذي جعله أمام مسؤوليات كبيرة ، والتزامات سياسية وقانونية وأخلاقية ، لاعتقاد بريمر والرئيس بوش بأن"الله الذي حثّنا على القيام بمثل هذه التضحية"(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٣٢) وأن الله سيمدهما بالقوة والدعم اللازم لإتمام مهمتهما ، في محاولة لخلط الأوراق ، وإيهام الرأي العام بمشروعية ما يقومان به ، بوصفه واجبا إلهيا مقدسا ، ومعركة الخير ضد الشر والحق ضد الباطل ،التي تستدعي من الجميع بذل كل ما لديهم من أسباب نصرتها وتأييدها ، والوقوف إلى جانبها ، وليس عدوانا اقتصاديا أو سياسيا أو انتهاكا للقوانين والمواثيق الدولية.

ولكن الخطاب المضاد في التخيّل التاريخي لرواية (كنت مع بريمر) أثبت أن بريمر لم يتمكن من الإيفاء بتلك الوعود والالتزام بها ؛ لا لعجزه عن ذلك فحسب ، وإنما بسبب تآمره مع الرئيس بوش على إشعال الحرب الطائفية ، والتخطيط لتقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم ، من أجل إضعافه وإغراقه في مستنقع الفوضى والانفلات الأمني من خلال استغلال سلطته في إصدار القرارات المتسببة في ذلك ، وبتخويل مطلق من الرئيس الأمريكي ، ومن هنا بدت شخصية بريمر على نحو مضاد لما بدت عليه في مذكراته التي وثقها بنفسه في كتابه(عام قضيته في العراق – النضال لبناء غد مرجو) وذلك لأن الشخصية بحسب طروحات فيليب هامون علامة فارغة ، لا تبنى إلا من خلال جمل تتلفظ بها ، أو يُتلفظ بها عنها (هامون، ٢٠١٣، ص. ٣٨) وأن أفعال الشخصيات وسلوكها ومواقفها وكلامها علامات كاشفة عن أوضاعها الأيديولوجية (باختين، ١٩٨٧ ، ص. ١٠٢ –١٠٣) بريمر بحسب التخيّل التاريخي في الرواية كان منحازا لنفسه في كتابه هذا ، من خلال حرصه الشديد على تبرير قراراته المثيرة للجدل التي اتخذها بذريعة إقامة نظام سياسي جديد في العراق ، وكذلك من خلال حرصه على تبرئة ساحته من تحمل المسؤولية المباشرة عن الفوضى الأمنية التي شهدها العراق في ظل إدارته لسلطة الائتلاف المؤقتة ، ولعل المفارقة الأولى في ذلك كانت في انتقاد بول بريمر غريمه جاي غارنر بقوله"ارتكب أخطاء إدارية"(بريمر ، ٢٠٠٦ ،ص. ٢٥)كثيرة ، ولاسيما اختياره القصر الجمهوري مقرا لسلطة الائتلاف ، وتجاهل اقتران ذكره بممارسات قمعية وانتهاكات أخلاقية سيئة الصيت ، وتجاهل غارنر تقييم وسائل الإعلام لما قام به مع فريقه "بأنه فاشل"(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٢٥)وإقدام بريمر على تكرار هذا الخطأ نفسه بجعل القصر الجمهوري مقرا له أيضا ، متناسيا انتقاده لغريمه على هذا الاختيار ، بل أنه اتخذ من تلك التقييمات حججا لإثبات كفاءته ، وتوافره على الخبرات اللازمة للنجاح في إدارة سلطة الائتلاف المؤقتة ، مدعيا "أن إقرار القانون والنظام سيكون أولى أولوياتنا" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ٢٧) بينما بدا بريمر على الضد من ادعاءاته هذه ، في ضوء الأزمات والمشكلات التي ظلت تعصف بالواقع العراقي في ظل إدارته ، ولاسيما عجزه عن توفير الأمن والتقدم والاستقرار ، والوفاء بوعده في بناء عراق جديد ، لا محل فيه للظلم والخراب والبؤس ، عراق مزدهر بتعليمه واقتصاده ، وصحته ، كما زعم في خطابه الذي وجه إلى العرقيين"أنا بول بريمر مدير إدارة سلطة الائتلاف المؤقتة ، المصاعب التالية التي يواجهها الشعب العراقي واضحة جلية ، وهذه المشكلات يعرفها الجميع ، لكن الأمور لن تبقى على حالها ، يوجد أمام كل العراقيين أمل بالمستقبل ، سوف تعيشون بكرامة ، سوف تعيشون بسلام ، سوف تعيشون في ازدهار،

سوف تعيشون مستمتعين بهدوء العائلة والأصدقاء ، ودخل لائق تجنونه باستقامة ، سوف تعيشون في عراق يحكمه شعب العراق من أجل العراق ، وسوف تتحقق هذه الأشياء ، مستقبلكم مليء بالأمل والازدهار ...نعمل لبناء عراق أفضل ...الشعب العراقي معا سيعيد إنشاء بلد عظيم بلد تفخرون جميعا بأن تورثوه لأبنائكم وأحفادكم"(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ١٧٨-١٨٠)فضلا عن تأكيده على ذلك في اجتماعه الأول بفريق عمله وتشديده أمامهم بانه يجب أن يكون هدفهم مساعدة العراقيين"في إعادة النهوض ببلدهم بأسرع ما يمكن"(بريمر ، ٢٠٠٦ ،ص. ٣٠) والعمل بكل ما لديهم على"إعادة إعمار العراق "(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٢٦) وحرصه على نفي تهمة الهيمنة والتسلط عن مهمته برسالة إلى السيد السيستاني"جئنا محررين لا محتلين" (بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٢١٤) وتأكيد الرئيس بوش الابن ذلك مرة أخرى في خطابه الموجه للعراقيين"إننا نساعد الشعب الذي عانى طويلاً في ذلك البلد على بناء مجتمع لائق وديمقراطي في قلب الشرق الأوسط ، معاً نقوم بتحويل مكان تنتشر فيه غرف التعذيب والمقابر الجماعية إلى أمة القانون والمؤسسات الحرة"(بريمر، ٢٠٠٦، ص. ٢٠٤)

وعلى مستوى فشل إدارة بريمر في إقرار القانون والنظام بدا بريمر وفريقه في نظر (سامي) جزءا من منظومة إرباك الوضع الأمني وخلخلته وزعزعته ، وإفراغ مؤسسات العراق ودوائره من الكفاءات التي كان في أمس الحاجة إلى خبراتها في إعادة ما دمرته الحرب ، وذلك من خلال اعتماد بريمر استراتيجية تخريب مدروسة بدأت بإصراره على إصدار قرارين مثيرين للجدل ، تمثل الأول بحل الجيش العراقي ، والثاني بقرار اجتثاث البعث ، على الرغم من علمه بأن الكثير من العراقيين كانوا على خلاف مع النظام السابق وسياساته المتهورة ، وممارساته القمعية ، وأنهم أجبروا على الانضمام لحزب البعث بعد أن جعل الحزب الانتماء إليه شرطا من شروط التوظيف ، وأن تطبيق القرار سيتسبب بخسارة العراق للكثيرمن كفاءاته التي أثبتت الأيام وطنيتها وانتماءها للعراق ، وعدم تسببها بإيذاء المواطنيين"علمتُ أن (بريمر) قد أعلن عن قرارين: الأول اجتثاث حزب البعث، والآخر حل الجيش العراقي بجميع أصنافه، وقد علمتُ أن القرار الثاني يودي بنا إلى كارثة، فالبلد بلا جيش يكون أشبه بمنزل في وسط غابة لا أبواب فيه"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٤٦).ولهذا لم يتردد (سامي) في السعي إلى مواجهة بريمر ، على الرغم من كونه مترجما له ؛ رغبة منه في إبداء وجهة نظره المختلفة في تبعات هذين القرارين ، والسعي نحو إقناعه بالتراجع عن إصدارهما ، لتجنب ما سيتسببان به من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية وأمنية ، وإلحاق الضرر بعراقيين أبرياء لم يتسببوا بالأذى لغيرهم من العراقيين " حاولتُ لقاءه عدة مرات بلا جدوى، وبعد أكثر من أسبوعين، جئتُ مبكرًا وكان لا يزال في مكتبه هو وحارسه (أيريك)، طرقتُ الباب ودخلت...جمع الملفات التي أمامه وخبأها في الدرج، وأشار لي بالاقتراب والجلوس، ثم قال: ماذا هناك؟- أنا يا سيدي لا أرى في نفسي مترجمًا لكَ فقط ، وأردتُ أن أخبرك ببعض الأمور التي تخص بلدي، وقد تكون تجهلها، واتمنى ألا ترى في كلامي تدخلًا في الامور السياسية وقراراتها.- ماذا هناك؟ قل يا صديقي. قال وهو يبتسم - شكرًا لك سيدي، لقد علمتُ مثلما علم الجميع بالقرارين اللذين أصدرهما حضرتكم. - هل هناك شيء لم يعجبك بهما؟ - ليس الأمر بالأعجاب، وإنما الظلم الذي وقع على البعض بسبب هذين القرارين. - كيف؟- مثلًا، القرار الأول اجتثاث البعث، رغم أني من المعادين لهذا الحزب وأعلم بالويلات التي خلفها، ولم يكن أبي أو أحدًا من أسرتي ينتمي له، لكن البعض(كذا) انتمى له خوفًا من الأذى الذي يقع عليه دون الانضمام إليه، أو للمكافآت

القليلة التي كان يحصلون عليها، فمثلما هناك من أذوا الناس، هناك من لم يؤذِ أحدًا، والحق أن يعاقب المؤذي"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٤٦-٤٧) مثلما عوقب والد (لبنى) حبيبة (سامي) بالطرد من وظيفته ، على الرغم من كفاءته في إدارة مدرسته ، وكفاءته في تدريس مادة الكيمياء ، وحسن معاملته لطلبته ، ووقوفه إلى جانبهم ، ومعاملته لهم معاملة بات الطلبة في أمس الحاجة إليها ؛ لترميم ما خربته الحرب في نفوسهم بعد ٢٠٠٣ ، وذلك حين قابل (سامي) حبيبته (لبنى) ، وتبين له اضطرارها للعمل في أحد مكاتب الاستنساخ لإعالة نفسها وعائلتها بعد أن بات أبوها طريح الفراش ؛ بسبب طرده من وظيفته ، فقال لها "لماذا طرد أبوك من عمله؟- لأنه بعثي - الكل يعلم أن أباكِ كان ينتمي للبعث اسمًا لا فعلًا، فلم يؤذِ أحدًا يومًا. - القرار شمل الجميع. تذكرتُ أباها، فقد كان أستاذي في الثانوية قبل أن يصبح مدير المدرسة، كان مدرسًا للكيمياء، كفء جدًا، وصاحب قلب طيب لم ترثه ابنته منه، وكان أكثر المساندين للطلاب وأكثر من يحل مشاكلهم، فتذكرتُ المواقف التي جمعتني معه، وتخيلتُ حاله الآن... وأفكر في نفسي، أي حمقى هؤلاء؟ ألا يعلمون أن ليس كل من انتمى لحزب البعث بإرادته، فالبعض (كذا) انتمى لإبعاد الشر عنه، والآخر من أجل المال القليل الذي يعطى؛ ليخفف وطأة الحصار على بطون أبنائه، هل حل الظلم بالظلم؟ من ضر الناس نعاقبه، أما من لم يضر، فلماذا نضره"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٤٤-٤٥) وليس من الحكمة أن نحرق الغابة لنخرج الأسد ، ولا من العدل أن نأخذ العشيرة بالجريرة كما يقال ؛ لأن "القرار شمل الجميع، وفيهم أناس لا حول ولا قوة، والآن سيكونون ناقمين على التغيير، فالناس لا يكرهون أحدًا بقدر من يحرمهم من قوتهم"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٤٨) فضلا عن تناقض هذه السياسة مع مضمون الخطاب الذي وجهه بريمر إلى العراقيين ، ووعدهم فيه بتأمين حياة رغيدة وكريمة ، لا محل فيها للظلم الذي عانوا منه في ظل النظام السابق ، من دون أن يكون تحفّظ (سامي) على قرار اجتثاث البعث بدافع الحنين إلى الماضي ، أو الرغبة في عودة النظام السابق ، بعد أن بدا رئيسه في نظره على الضد تماما مما بدا عليه في إعلام أجهزته المضلل ، وبرامج الدوائر التابعة له ، وأكد هذا في حواره مع (هشام) ابن منطقته وزميل دراسته ، الذي ظل يعتقد هو وأبوه البعثي الانتهازي بأن الرئيس السابق كان بطلا ؛ فرد عليه بابتسامة ساخرة ، ثم أمطره بالتساؤل عن أسباب تمسكه بهذا الوهم ، وإصراره على مغالطة نفسه أمام تاريخ الحماقات التي ارتكبها ذلك الرئيس ، ولم تدع لأي عاقل ومنصف نكران آثارها المدمرة على المديين القريب والبعيد ، بعد أن أقحم بلاده في حروب عبثية "خلفت أرامل ثكالى وأطفال يتامى ...شحاذين أو حمالين أو بائعي مناديل"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٣٤)في أعقاب معارك خاسرة ، وحصار اقتصادي مدمر ترك شعبه يقاسي شتى أنواع العوز والفاقة ، وعزلة دولية شلت الحياة في البلد على مختلف المستويات ، وأعادته إلى الوراء عشرات السنين" وصاحب القصور عاش في رخاء"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٣٣) وظل هو وحاشيته منغمسين في ملذاتهم ، وبناء المزيد من القصور فوق عذابات شعبهم ، غير آبهين بما كان يعانيه من ويلات وخسارات ، ولذا سخر (سامي) من منطق (هشام) وقال له "عن أي هيبة وبطولة تتحدث؟ هل أنت أحمق لهذه الدرجة؟ رجل أدخل بلدك بحربين متتاليين، ثم تلاهما حصار، ليجعل جلّ أحلامنا رغيف خبز، تصفه بطلاً؟ وجعل من العراقيين في قفص لا يمكن لأحد أن يفارقه، بطل؟ وعادى جميع دول الجوار، وجعلنا نعيش في سجن لا منفذ فيه، وفرغ خزانة الدولة لسد ملذاته وملذات أبنائه وعائلته، ليتك تذهب معي وترى قصره في الوقت الذي لا زالت هناك أناس

تعيش في بيوت من الطين، وما زلت مخدوعًا بحركاته الفنية وسجارته ونظراته، وكأن وظيفة حاكم الدولة هو استعراض الممثلين لا خدمتهم وتلبية حاجاتهم، لكن يبدو أنك لا زلت تحمل جميل الخمس درجات التي وضعت فوق معدلك حين أنهيت دراستك الثانوية، لأن أباك بعثي" (دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٣٧) الأمر الذي جعل ألقاب العظمة والبطولة التي لُقِّب بها الرئيس ، ونُقِشَت له على سقف قاعة قصره الجمهوري ادعاءات جوفاء زائفة تحمل كل من يراها على السخرية من صاحبها ، مثل ألقاب "المهيب، والفارس، والرفيق، والمناضل، والرئيس، والقائد، وبطل التحرير، والمجاهد، والقدوة، وباني العراق، وصانع النصر، ورجل السلام. أنزلتُ رأسي وأنا أبتسم، وقلتُ في نفسي: كم كان داء العظمة ينخر بك يا رجل؟ " (دهر ، ٢٠٢٥، ص. ٢٤) كما سخر(سامي) منها حين لاحظها يوم مقابلته للعمل مترجما لبريمر، وكأن لسان حاله يقول بأن التاريخ سيعيد نفسه مرة أخرى في هذا المكان، ولكن تحت شعارات بريمر الزائفة، وليس تحت ألقاب الرئيس الفارغة.

كما حاول (سامي) إقناع بريمر بالتراجع عن قراره الذي قضى بحل الجيش العراقي ، ليكسر مرة أخرى الصورة النمطية للمترجم التي تحدده بنقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى ، وعدم تجاوز الحدود المرسومة لوظيفته ، والتقيّد بشروطها ، وذلك من خلال الإقدام على الدخول في نقاش جريء حساس مع بريمر الذي كان مخولا من الرئيس الأمريكي بالسلطة العظيمة في العراق بعد ٢٠٠٣ ، مذكرا إياه بضرورة تجنّب التعميم في الأحكام ، و عدم تحميل أفراد الجيش العراقي مسؤولية الأخطاء القاتلة التي ارتكبها النظام السابق ، وتذكيره بأن الكثير من أفراده كانوا على خلاف مع قراراته الحمقاء التي أقحمت البلد في أتون حروب عبثية خاسرة ، لم تجلب لبلدهم سوى الخراب والدمار ، وذلك في الحوار الذي دار بين (سامي) وبريمر ، وجعل (سامي) يقتنع بوجود نية مبيتة لإرباك الوضع تحت شعارات ومزاعم زائفة ، تعمل وفق سياسة الفوضى الخلاقة التي جعلتها الولايات المتحدة إحدى استراتيجيات سياساتها الخارجية "هل هناك أمر آخر؟– قرار حلّ وزارة الدفاع.– ما به؟– سيجعل البلد مفتوح (كذا) على مصراعيه لمن هبّ ودبّ– أنت تعلم بما فعل الجيش في السابق بجنوب والشمال وحتى في بغداد، لأن ولاءه لم يكن للوطن أنما لصدام.– معك حق، لكن التعميم مرة أخرى، لأن هناك ضبّاط كانوا يرفضون النظام لكنهم مجبرون، ناهيك عن أن الجنود رافضين النظام بجميع أشكاله، ...من روّع الناس يُحاكم، ومن أمر بذلك ينال جزاءه، أما المساكين من أجبروا على الحروب واستشهدوا فيها، ناهيك عن من بترت أعضاؤه لحروب رعنة لا تخصه، ثم أنك تعلم أن التجنيد كان ألزامي(كذا) فكيف يعاقب من هو مجبر على فعله؟" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ٤٨–٤٩) ولكن بريمر لم يقتنع برأي (سامي)، وكل ما وضعه أمامه من حجج منطقية وواقعية، وشعر بالهوة الكبيرة التي تفصل بينه وبين بريمر، واقتنع بلا جدوى الكلام معه، فقال له مذكرا إياه"أعتذر سيدي من تدخّلي، لكنني حاولتُ أن أوضح لك الأمور التي قد يكون خبئها(كذا) البعض (كذا) لك(كذا). لا تقل هذا يا صديقي، شكرًا لك أنت، وهذا دليل على مساندتك لما نسعى إليه من بناء عراق جديد. أمسكت فمي عن ابتسامة ساخرة وخرجت، أي عراق جديد هذا؟ والعراق يحمل من حفرة ليوضع في بئر!"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٢٩) وذلك بعد أن تمكن (سامي) من كشف المخطط الخبيث لبريمر ، والذي تجلى بتخطيطه سرا للاستعانة بأرباب السوابق من القتلة والمجرمين ، وخبراء المتفجرات المحسوبين على الطائفتين السنية

والشيعية ، ودعمه الكبير لهم بالمال والنفوذ من أجل استقطاب المزيد من المخربين ؛ ليشكلوا مجموعات خارجة عن القانون ، ترفع في الظاهر شعار مقاومة الاحتلال ، وتعمل في الخفاء على تنفيذ أجنداته وبرامجه الرامية إلى زعزعة الوضع الأمني "كشف أحد مصادرنا الصحافية، عن قيام مقر الائتلاف بالدعم المادي والمسلح لثلاثة أشخاص، لهم سجل اجرامي سابق، يتوزعون في مناطق بغداد، وقد قام اثنين من هؤلاء الثلاثة، بتكوين قاعدة مسلحة من شباب معوزين ماديًا، بإغرائهم بالدولارات. كما أخبرنا مصدرنا، أن الاثنين يقومان بأنشطتهما في أكبر منطقتين في بغداد، يتجمع في كل منطقة منهما طائفة مختلفة عن الأخرى، أما الثالث منهم، فهو خبير متفجرات، وكان ضابطًا في الجيش العراقي السابق، ولعل مهمته هي الصنع والتدريب على المتفجرات؛ لتفجيرها في مناطق البلاد، ومن خلال ما سبق، يتضح أن جميع الانفجارات التي حدثت، يقف خلفها مقر الائتلاف، وأن الأمريكان يخططون لخلق صراع طائفي في العراق، وهذا يوضح أن حكومة (بوش)، المتمثلة بـ (بريمر)، تسعى إلى زعزعة أمن العراق، وأضعافه دون أن تشوه قناعها المستعار باسم الديمقراطية والتحرير " (دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ١٣٥).

كما بدا "بريمر دكتور تجميل فاشل للأخطاء"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٢٩) في نظر(سامي) بعد أن رافقه في زيارته للمستشفى المركزي للأطفال في مدينة الطب "من أجل معرفة احتياجاتهم وتوفيرها لهم" (دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٢٧) برفقة مستشار وزارة الصحة في سلطة الائتلاف المؤقتة ستيف براوننغ ، والدكتور سعد مجدي أحد أطباء المجلس العراقي لإعادة الإعمار والإنماء "انطلقنا متوجهين إلى مدينة الطب، وتقدمَتْ السيارات الخمس مدرعة، نصب فوقها سلاح وجهة سبطانته إلى الأعلى، ...أفزعني صوت أطلاقات نارية، والتوقف المفاجئ للسيارة، انحنيت قليلًا، فضحك بريمر، وقال – لا تخف سيارتنا مصفحة، ثم هذه أطلاقات أسلحتنا لفتح الطريق ...عدتُ إلى مكاني وأنا أنظر له بذهول، وقلت وهل يصح ذلك؟... كيف سيكون حالهم حين يسمعون تلك الاطلاقات، وهي تأتي من خلفه لترتفع، يروع الأطفال في الشارع ذاهبا إلى مساعدة الأطفال، أي تناقض هذا؟"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٢٩)؛ بعد أن قام حراسه باطلاق العيارات النارية في الهواء لفتح الطريق أمام سيارات موكبه المظللة، غير مبال بترويع الشعب وتخويفه، ولاسيما الأطفال والنساء والمرضى، وفضلا عن هذا فأن بريمر بدا في نظر (سامي) فاشلا بعد أن سأل مدير المستفشى وقال له" كيف يمكننا أن نساعدك يا دكتور؟ أرجو أن تخبرني بحرية.– لدينا العديد من المشاكل سعادة السفير، في البداية، المدينة غير آمنة في الليل أو النهار– الشوارع خطيرة جدًا ...يا سيدي، الموظفات لا يتجرأنَ على القدوم في نوبة المساء يخشين على أنفسهن، الشوارع لا تطاق يا سعادة السفير – أعدكم بأن الوضع الأمني سيتحسن، وسأرسل آلافًا من الشرطة العسكرية الأمريكية المسلحة غدًا؛ لتقوم بحماية المستشفى"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٣٠–٣١)ولكن وعود بريمر لمدير المستشفى لم يتحقق منها أي شيء ، وكلها كانت زائفة وكاذبة ، وتأكد (سامي)"أن الوضع الصحي كان سيئًا في السابق، لكنه الآن بات أسوأ من ذي قبل"(دهر ، ٢٠٢٥ ،ص. ٣٣) بعد أن تعرّض ابن أخيه لإطلاقة طائشة ، واضطر إلى جلبه إلى مستشفى الأطفال في مدينة الطب التي زارها قبل أيام رفقة بريمر ، وقابل مدير المستشفى وراح يسأله عما إذا كان بريمر قد أوفى ببعض وعوده له ، فصدمته إجابة المدير "أوقفته بعد أن سلمتُ عليه، وقلت – هل تتذكرني دكتور؟– أعتذر منك، المترددين (كذا) على

المستشفى كثر، لا يمكنني تذكر الجميع.– أنا أتيت مع بريمر قبل عدة أيام، ورأيت حضرتك، أنا المترجم. –نعم نعم تذكرت، أهلًا بك، تفضل هل تحتاج خدمة؟ – لا شكرًا لك، ولكن أردتُ أن أسألك هل أوفى بريمر بما وعدكم به، من تقديم مساعدات للمستشفى؟ ابتسم ابتسامة صفراء وقال – بعد يوم من زيارتكم، جاء مجموعة من الأمريكان، ووضعوا برميلين من (الكاز) لمولدة الكهرباء، أما باقي ما طلبناه لم يصل شيء منه"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٧٣) وبذا تأكد سامي مرة أخرى أن وعود بريمر في خطابه ببناء عراق مزدهر ، يعيش شعبه بصحة وسلامة وكرامة كانت للاستعراض ، والاستهلاك الإعلامي والتضليل والخداع ، وأن زيارته لمستشفى الأطفال تحديدا كانت لذر الرماد في العيون ، وتسويق صورة زائفة عن إنسانيته ، وإنسانية سياسة بلده بإعطاء الأولوية لرعاية حقوق الأطفال وتأمين متطلباتها ؛ الأمر الذي أحرج (سامي) أمام المدير ، وحمله على الشعور بالخجل ، والمبادرة إلى تقديم اعتذاره للمدير قائلا "شعرتُ أنني مشترك في عملية النصب والخداع هذه ، فقلت مبررًا موقفي: أنا جدًا خجل منك ولكن لا حيلة لدي، وأعدك أني سأحاول تذكيره إن نُسي الأمر. لا تعتذر يا أخي، وكن واثقًا أنه لم يُنسَ، ولكنه لا يبالي، فلا هذه الأطفال أطفالهم، ولا هذه المستشفى وهذا البلد كله يهمهم، أما من يثق بوعودهم كمن يثق أن يبات بجحر أفاعي" (دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٧٣) وهكذا بدا بريمر في نظر (سامي)حاكما فاشلا وكاذبا يدعي يعلن في الظاهر حرصه على إقرار القانون والنظام ، وإعادة إعمار العراق ، وجعله بلدا مزدهرا مستقرا ، ولكنه يعمل في السرد على تجنيد المجرمين وتمويلهم ؛ لإرباك الوضع الأمني وإشاعة الخوف ، وإشعال نار الفتنة الطائفية بين مكوناته المجتمعية ، والعمل على تفتيت وحدته وتقسيمه إلى أقاليم .

المبحث الثالث – بناء المكان بين الواقعي والمتخيّل وقلب ثنائية الأليف والمعادي:

لقد حظي المكان باهتمام النقاد وعنايتهم قديما وحديثا ، وحاز على مساحة كبيرة في جهودهم ؛ لإجماعهم على العلاقة الجدلية بين الحدث والمكان ، و بين المكان والشخصية ، وأكدوا أن تشكيل المكان يندرج في إطار تقديم الشخصية على مختلف المستويات ، والوشاية بمرجعياتها الثقافية والإيديولوجية والاجتماعية "حتى إنه يمكن القول بأنه وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية"(بحراوي ، ١٩٩٠، ص. ٣٠) لأن وجود الإنسان لا يتحقق عبر علاقاته مع ذاته والآخر فحسب ، وإنما يتجلى عبر العلاقات التي ينسجها مع بيئته ؛ بوصف المكان تعبيرات مجازية عن الشخصية و"أن بيت الإنسان امتداد له. فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان"(ويليك ، ١٩٧٢، ص. ٢٨٨) الأمر الذي جعل المكان من أهم تلك المكونات السردية التي تشكل مع غيرها شبكة من العلاقات التي تشي بمنظور الشخصية وتوجهاتها ومواقفها ؛ وجعل توظيفه في العالم الروائي خطابا مكثفا ينطوي على دلالات عميقة لا تقل أهمية عن دلالات البث المباشر إلذي يواجهنا به خطاب الرواية ، سواء كان ذلك على لسان الشخصيات أو على لسان الراوي بمختلف أشكاله ؛ وأن العمل الأدبي طبقا لطروحات باشلار " حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"(باشلار، ١٩٨٤، ص. ٥–٦) ولذا بات المكان في الرواية ، عنصرا رئيسا "يعبر عن نفسه من خلال أشكال معينة ، ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحياناً علة وجود الاثر" (بورنوف، ١٩٩١، ص . ٩٢) وسواء كان المكان واقعيا أم خياليا فأنه يبدو مندمجا بالشخصية، ويوظف للتعبير عن رؤيتها الذاتية للعالم

المحيط بها، بدلا من استعمال العبارات المباشرة للدلالة على احساسها باليأس أو الأمل، وما إلى ذلك من مشاعر أخرى (بورنوف، ١٩٩١، ص. ٩٨) والروائي كالرسام أو المصور الفوتوغرافي يختار قطعة من المكان يؤطرها ويضع نفسه على مسافة منها (بورنوف، ١٩٩١، ص. ٩٩) بوصف المكان فضاء لفظيا لا يوجد إلا من خلال اللغة ، وفضاء متخيلا يكتسب معناه ورمزيته من العلاقات الدلالية التي تضفيها الشخصيات عليه،و فضاء ثقافيا يتضمن كل التصورات والقيم والمشاعر التي تستطيع اللغة التعبير عنها (بوعزة ، ٢٠١٠ ، ص. ٩٩–١٠٠) لأن سياسة الأدب بعد انفتاحه على الحياة العادية والأشخاص العاديين اتجهت نحو تأويل الأدلة المكتوبة على أي جسم طبقا للمنطق الديمقراطي الذي ساوى بينه وبين أي شخص كان ؛ فتاريخ المجتمع كله يمكن أن تنطق به الجدران والأثاث والثياب (رانسير، ٢٠١٠، ص. ١٠) .

وبناء على ما تقدم فقد حرص الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي في رواية (كنت مع بريمر)على قلب تقاربات المكان ، وتوظيف الدلالات الثقافية لها ، ولاسيما ثنائية الأليف والمعادي بحشد القطب الأول منها بعلامات الخطر و الفساد والدمار ، والفوضى والخراب ؛ ليبدو العراق المحتل بعد ٢٠٠٣ ، في ظل سلطة الائتلاف المؤقتة برئاسة بريمر على الضد تماما من وعوده في خطابه ، وخطاب رئيسه بوش الابن ، بعد أن وعدا بجعل العراق بلدا آمنا مزدهرا ، يرفل شعبه بالأمن والأمان ، والهدوء والطمأنينة ، والحرية والسلام ، وإعادة البناء والإعمار ، وطي ماضي المقابر الجماعية ، والاعتقالات والاغتيالات والتهجير والتعذيب في السجون ، وذلك بعد أن رأى (سامي) أن بريمر ذهب في إجازة إلى أمريكا و "البلد يشتعل ، وهو ومن معه من أوقد الفتيل ...فلا هو وطنه ولا هي أرضه"(دهر، ٢٠٢٥ ، ص. ١٢٨) وكل ما وعد به كان محض شعارات فارغة ، لم تترك لـ(سامي) سوى استنكار ذلك وإدانته ، من خلال التساؤل مرة بعد اخرى لأن "البلد يحترق ؟ أين حديثكم ووعودكم بتغيير شكل العراق؟"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٥١) ولاسيما بعد أن عثر سامي فيما بعد على رسالتين أكّدت تورّط بريمر سرا بالتخطيط لحرق العراق وإشعاله ؛ تنفيذا لأمر وزير الدفاع الذي كان وراء تكليفه بمهمة سلطة الائتلاف المؤقتة ، وامتثالا لإرادة رئيسهما بوش الابن ؛ إذ عثر على رسالتين في مكتب بريمر جاء في الأولى أن "وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد)، يصر على بريمر تسليم الامور للعراقيين بسرعة، حتى لو كان الوضع يحترق، ويخبره (أنه ليس بلدنا ولا شأننا، المهم عدم خسارة جنود أمريكان آخرين، وليشتعل العراق، فما أردناه تحقق، فكل ثروات العراق أصبحت لنا، فليحدث ما يحدث)" (دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٥٧) وليكشف بهذه الرسالة عن السبب الحقيقي وراء احتلال العراق ، وحصره بأطماعهم الاستعمارية ، وتأكيد الرئيس بوش الابن على بريمر على العمل بهذا المبدأ، بعد أن نفذوا مخططهم بتدمير العراق تحت شعار تحريره من نظامه الديكتاتوري ، مشددا عليه بجعل مصالح أمريكا فوق كل اعتبار ، وليذهب ما سواها إلى الجحيم ، من دون أدنى شعور بالخجل أو المسؤولية الأخلاقية التي تُلزم المحتل بحسب القوانين الدولية بالحفاظ على الأمن والنظام في البلد الذي يخضع لاحتلاله"في هذه الورقة الأخرى، بوش يخبر بريمر (ضع هؤلاء ليحكموا العراق بعدك بأسرع وقت ممكن، ليصبح العراق ملكًا لنا، وأنتبه لسلامتك وسلامة الأمريكان، أما الاخرين، فليذهبوا إلى الجحيم).

رميتُ نفسي أتكئ على ظهر الكرسي، رغم أني على يقين بما يفعلون، لكنني لم أكن أتوقع أنهم سيتركون البلد وهو مشتعل، كنتُ أتصور أنهم سيفكرون بسمعتهم أمام دول العالم، متناسي أن العاهرات لا تهتم لسمعتها"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٥٧).

ولتفنيد ادعاءات بريمر التي وعد في بعضها سعيه نحو بناء عراق آمن ، وإثبات زيفها وظّف الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي في رواية (كنت مع بريمر) ثنائية المكان الأليف والمعادي باعتبار القطب الأول معادلا لكل ما هو إيجابي ولاسيما الأمن والأمان ، ومعادلة الثاني لكل ما هو سلبي ولاسيما الشر والخطر ، واحتشاده بالمزيد من المظاهر التي تبثت غياب الأمن والأمان الذي وعد به بريمر الشعب العراقي ، واستفحال مختلف اشكال الخطر ، ولاسيما حوادث التفجيرات الانتحارية التي لم يكن للشعب العراقي عهد بها قبل احتلاله في ٢٠٠٣ ولم يُفجع بجرائمها اليومية ، بعد أن حولت الشوارع إلى ساحات موت مكتظة بالجثث"وبدأت الأيام تمر لتبدأ معها ملحمة جديدة من الانفجارات، وكان أولها انفجار أمام السفارة الأردنية في بغداد، لتتوالى بعدها الانفجارات في العاصمة، لتزداد معها اجتماعات بريمر المغلقة، وظهور المسلحين في جميع مناطق العراق، وازدياد الانفجارات في عموم العراق، ومشهد الجثث الطافية على الاسفلت أصبح المشهد المعتاد في البلد"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٢٦) والمفارقة أن بريمر ومن جاء بهم معه في سلطة الائتلاف لم يحركوا ساكنا ، بل كانوا يقومون " بزخ النقود للبدء بحرب طائفية أهلية ... ويظهرون على الأعلام بأنهم مستائون مما يحدث...لكي يجعلون الشعب يصدق بياض أيديهم بما يحصل" (دهر، ٢٠٢٥ ، ص. ١٣٣)أمام الانفلات الأمني الذي تجلى بنزول المسلحين إلى الشوراع أمام مرأى الجميع "وما زال مجلس الحكم العراقي يقدم الوعود هو وحكومة بريمر، ولا شيء يتغير سوى ازدياد القتلى، وظهور العديد من الجماعات المسلحة هنا وهناك، والاغتيالات تزداد، ولا زال باب اجتماعات بريمر مغلق"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٢٦) بحثا عن مكان آمن في العراق يصلح لتدريب أفراد الشرطة العراقية وإعادة تأهيلهم ، ونشرهم في الشوارع والساحات وقرب الدوائر والمؤسسات ، ولكن من دون جدوى بعد أن ثبت له تحول العراق كله إلى مكان خطر !! ولا توجد فيه أي بقعة آمنة"كان النقاش يدور حول تحديد مكان آمن لتدريب المتقدمين لصفوف الشرطة العراقية الجديدة، والإمكانات المتاحة لدى الائتلاف للقيام بهذا العمل، وبعد اجتماع طويل، وضعت خريطة العراق على الطاولة؛ لتحديد مكان لإنجاز العمل، كان شكل الخارطة يوحي بحزن غريب، يبدو أن ساكني هذه الأرض طغت على شكلها. وبعد اقتراحات عدة، توصلوا لعدم وجود شبر آمن في هذا البلد"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٣٩) الأمر الذي لم يترك لهم سوى خيار تدريب أفراد الشرطة في بلد مجاور ليثبتوا للجميع عجزهم وفشلهم في تحقيق ما وعدوا به، ولاسيما بناء عراق آمن"وأخيرًا، وبعد أن مرت أكثر من أربع ساعات، اتفقوا على اختيار إحدى بلدان الجوار، للاتفاق معه بتخصيص مكان لإنجاز مهمة التدريب. أي بلد هذا أصبح لا أمان فيه من أقصاه إلى أقصاه؟ وكأننا أصبحنا نعيش على قنبلة موقوتة وعدادها يتحرك، وستنفجر بأية لحظة"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٣٩) ثم أثبتت الأيام تورط بريمر ومن جاء بهم في إشاعة الخوف والرعب بين الناس ، بدلا من الأمن والأمان الذي وعد بهما ، وذلك حين أجاز للجنود الأمريكيين قتل كل من يقترب من العربات الأمريكية على الطرق في حال لم يترك مسافة ١٠٠ متر عنها ، فضلا عن تسببها بالاختناقات المرورية وإرباك حركة السيارات في الشوارع ، وزج مستخدمي الطريق في مشاكل التأخر عن مواعيد عملهم وأوقات وصولهم

إلى دوائرهم أو منازلهم ، كما جرى ذات يوم مع سامي فاستوضح من سائق التكسي بقوله "أخي، لماذا يمشي السير بهذا البطء؟- يبدو أن في مقدمة هذا السير الذي لا نستطيع أن نراه، رتل لسيارات القوات الأمريكية.- طيب، وما الذي يبطئهم؟- هل فعلًا لا تعلم؟- لا أعلم.- أن عادة الرتل الأمريكية، يعلق قطعة في آخر سيارة من الرتل، مكتوب عليها بالإنكليزية والعربية، أبقِ بمسافة ١٠٠ متر خطر، ويمشون ببطء كبير.- وماذا لو اقتربنا منهم وتخطيناهم بالمرور بقربهم؟"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٣٠) فسرد له السائق حادثة مقتل عائلة بأكملها بعد أن اقترب الزوج بسبب الحالة الطارئة لزوجته المريضة من الرتل الأمريكي ، فاجتاح الخوف قلب (سامي) وشعر بالخطر والخشية من تكرار ذلك الموقف المروع معه الذي بات مشهدا معتادا"قبل أيام حاول رجل يقود سيارته الخاصة ومعه زوجته، ويبدو أنها مريضة، حاول الاقتراب، فتحوا النار عليه هو وزوجته، وقتلوهما معًا!! بقيتُ متسمر الوجه والجسد، وأنا أرى أن أحمال الجبال تقع على رؤوس العراقيين، وكأن القدر هنا له وجه واحد ممتلئ بالظلام، ولا ينوي أن يرينا وجهًا آخر. نظرتُ إلى سير السيارات الطويل، يمشي كدبيب النمل، والخوف يبلع السائقين، وقلتُ في نفسي(كان الله في عون من يترأس سير السيارات)، مؤكد أنه الآن خائف أن يقترب مقدار شعرة فيضاف أسمه لقائمة الموت الطويلة، والتي لا يبدو أن لها نهاية" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٣٠) ولذا اقتنع (سامي) بأن " الأمل لا يعيش هنا ، وقد غادرنا منذ دخول هولاكو بغداد، وإلى الآن لا يعيش هنا سوى الخوف والموت"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٧٥) وأن أحوال الناس وحياتهم لم تعد كما كانت في السابق ، بل بات الجميع مسكونا بالقلق والخوف ، ويستعجلون العودة إلى بيوتهم قبل حلول الظلام ، ولم يعد بوسعهم كما كان سابقا الترويح عن أنفسهم في المساء بأحاديث السهر والسمر"الكل خائف، واليوم في الشوارع ينتهي عند الساعة السادسة، فالمحلات تقفل والناس تعود بسرعة إلى بيوتهم وكأن هناك أعصار قادم، فهو أعصار من نوع آخر، إنه أعصار الخوف وعدم الأمان، فلا أحد يأمن على نفسه أذا حل الظلام، أما ليالي بغداد وسهراتها أصبحت في خبر كان، وحكايا شهرزاد أقفلت"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٨٤) وبات في حساب العراقيين أن أشباح الموت تنزل بعد مغيب الشمس إلى الشوارع ؛ لنشر الرعب والخوف ؛ لتصفية حساباتها مع من تريد "بعد ان تغيب الشمس، يبدأ المسلحون في الخروج، أحيانًا لتصفية حسابات قديمة، وأحيانًا لزيادة الرعب بين الناس، ألا تسمع أصوات الإطلاقات النارية المتفرق في كل ليلة؟- من سينقذنا من كل هذه الفوضى؟"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٦٤) .

وحين أقدم (محمود الأفرار) أبو أذان على تهديد سامي بالقتل؛ بحجة عمله مترجما مع الأمريكان اجتاح الخوف قلب سامي ولم يستطع "النوم، الخوف تملكني، والتفكير بـ (محمود) ومن معه شلّ تفكيري، ولا أعرف ما الحل؟ وكيف أحمي نفسي منهم؟"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٥٥) وظل الخوف يطارده ويلاحقه حيثما كان "ورحتُ أمشي وأتلفتُ خوفًا من أن يكون أحد يراقبني من محمود وشلته، وقلتُ أذهب إلى العمل وبعدها أبحث عن حل لهذه المشكلة "(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٥٦)وحين حاول سامي استشارة صديقه مؤيد ، والذهاب إلى بيته القريب من بيته شعر بأن المسافة التي تفصلهما عن بعض طويلة جدا ؛ بسبب فقدان الشعور بالأمان ، فضلا عن خوفه من الانفلات الأمني الذي جعل الشوارع مسكونة بالرعب وأشباح الموت "فكرت أن أذهب إلى بيت صديقي (مؤيد)، وأخبره بما هددني بهِ محمود، لعلي أجد منه حلًا أو نصيحة، كانت تشير الساعة إلى السابعة مساءً، وهو وقت لا يخرج فيه أحد، فالمحلات تغلق، والناس تختفي من الشوارع

بسبب الوضع الأمني المتردي، ولأن بيت (مؤيد) لا يبعد عن بيتي سوى شارعين، ذهبتُ له في هذا الوقت. أخبرتُ أهلي بأني ذاهب الى مؤيد لأمر هام، أوصاني الجميع بعدم التأخر، كان الظلام يخنق الأزقة والشوارع، وكأنها شوارع (أفلام الزومبي)" (دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٦٣) ثم ازداد الوضع سوءا مع خوف الأطباء والممرضين من الذهاب إلى إلى أماكن عملهم في المستشفيات ؛ بسبب شعورهم بغياب الأمن والأمان أيضا ، وتكرار حوادث الاعتداء عليهم في ظل الانفلات الأمني ، وغياب سلطة القانون التي تكفل لهم الحماية من التعنيف ، وتحول دون تعرضهم للأذى أثناء القيام بأعمالهم"أصبح العمل في المستشفى أشبه بعمل في حقل الألغام.– كيف؟. قلت – أصبح الكادر الطبي يخشى على نفسه إن مات المريض، فهناك تهديد ووعيد من أهل المريض بالقتل أذا جرى لمريضهم شيء، وكأن الموت والحياة بيدينا لا بيدي الله، ناهيك عن نقص الدواء، وصعوبة الخفارة في الليل، فنخشى على أنفسنا في ساعات الليل المتأخرة، من تعرض من مخربين أو ناهبين"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٨٤) الأمر الذي صيّر حياة العراقيين في ظل انهيار الوضع الأمني بلا قيمة ولا كرامة ، وجعل الدم العراقي"لا يوجد أرخص منه في هذا البلد، لا أحد يعير له أهمية، والموت يسكن بجيوش جرارة يدور في أزقتنا، ولا يرحم من يراه كبيرًا كان أو صغيرًا"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٧٣)فأيقن سامي بأن كل الوعود التي جاء تحت شعارها الاحتلال كانت وعودا كاذبة و"ستكون هناك منغصات شتى، والسيوف التي غمدت، ستستل الآن، ولأني أعلم أن الفُوضَى تخلف دائماً ساحة لتصفية الحسابات، حيث يبرز فيه قانون الغاب، وكلّ يبدأ حد نابه لافتراس الآخر، علمتُ يومها أننا مقبلين على كارثة" (دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٩) بعد أن بات صوت الاطلاقات النارية هو الصوت المسموع ليل نهار؛ ليعلن للجميع انهيار الوضع الأمني وغياب الأمن والأمان الذي وعد به بريمر ومن جاء معه وسيادة الفوضى والفساد "طوال الطريق وصوت الإطلاقات النارية من هنا وهناك، فهي نغمة معتادة، تصحو وتغفو بغداد عليها، الأزقة البغدادية التي كانت مليئة بالدفء، أصبحت مليئة بالعنف"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ٩٩)كما تغيّر لون سماء بغداد ، وتحولت زرقتها الصافية إلى سواد ، وظل صوت الاطلاقات النارية يقلق هدوءها ويبدده ، ويخيم عليها حزن دائم ؛ فكانت " أشبهُ بأرملة تنتحب زوجها(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٩)

كما عمد الخطاب المضاد للتخيل التاريخي إلى توظيف ثنائية الحرية والتسلط لتكذيب الشعار الذي ظل بريمر ورئيسه يتبجحان به لتبرير جريمة غزو العراق بحجة تحريره من تسلط النظام الديكتاتوري وسجونه واعتقالاته ، وتكرار ذلك بقوله"نريد أن نخلق ديمقراطية في هذا البلد ، لا خلق ديكتاتورية جديدة " (دهر، ٢٠٢٥، ص. ٦٩) وذلك من خلال رصد قيام سلطة الائتلاف بإصدار أوامر الاعتقالات العشوائية من جديد ، إذ "بدأ فصل الاعتقالات العشوائية، وأكثر ما أصابني بصدمة كبيرة، حين علمتُ أن المسؤول عن الاعتقالات في العراق هو (بيرني كيريك)، هو القائد ذاته الذي كان مسؤولًا عن ملف اعتقالات العرب والمسلمين في أمريكا، بعد أحداث ١١ سبتمبر في نيويورك"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٢٦) وقام بإعادة فتح سجن أبو غريب السيء الصيت من جديد ، لتعذيب المقاومين للاحتلال ، ولسان حال بريمر يقول كل ما فعلناه لم يكن يعدو سوى استبدال ظالم بظالم آخر ؛ إذ " أعيد فتح سجن العراق الأكبر والأشهر (أبو غريب)، هذا السجن الذي لاقى فيه العراقيون على يدي أمن حكومة النظام السابق ما لاقوه من تعذيب، وأهانة، وقتل وذل، وسيعاد المشهد في هذا

السجن من جديد لكن على أيادٍ جديدة"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٢٦) مثلما حاول بريمر نفسه زج (سامي) فيه ، بعد أن فضح مؤمراته ومخططات إشعال الفتنة الطائفية في العراق وقال له مهددا "بأمكاني أرسالك إلى سجن (أبو غريب)، بأي تهمة أشاء، وأريك أقسى التعذيب هناك"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٦٥)مثلما كان يفعل رئيس النظام السابق في كل من يعارضه ؛ ويختلف معه ، مؤكدا بهذا الوعيد السير على منواله في تحويل العراق إلى سجن كبير يتهدد كل من يدخله بشتى صنوف القهر والتعذيب ؛ خلافا لشعارات التحرير من جمهورية الخوف ، والعيش بكرامة في عراق آمن ومزدهر ومستقر .

كما عمد الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي إلى توظيف ثنائية الإقامة والارتحال ؛ لتقويض مزاعم بريمر التي وعد فيها العراقيين ببناء عراق مستقر يسوده السلام والرخاء والأمن والأمان ، من خلال رصد حوادث الاختطاف التي حملت الكثير من الكفاءات على الرحيل من العراق ، والهروب إلى المنافي ؛ إذ"بدأ رحيل الناس إلى خارج العراق، من أطباء ومفكرين وفنانين وأدباء وعلماء ، فقد شُنّت حملة اغتيالات لجميع العقول العراقية"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٢٧) كما جرى مع الدكتور ناصر الذي كانت عيادته ملاذا للفقراء والمحتاجين ، فاضطر إلى غلقها واتخاذ قراره بالرحيل عن العراق بعد قيام المسلحين باختطاف ابنته الصغيرة ، ومطالبته بدفع فدية مالية كبيرة مقابل اطلاق سراحها ؛ إذ "لا تزال ذكرى رحيل الدكتور ناصر، بعد أن أعاد الخاطفين(كذا) له أبنته الصغيرة (شجن)، وتوديعه للجيران هو وأسرته والدموع تفيض في مشهد لا يمكن تخيله، وكنتُ أشعر أن الرجل يترك قلبه في العراق، ويرحل جسدًا رغمًا عنه، فهل هناك أقسى من ترك الذكريات بمجملها والرحيل الأبدي عن بلدك بشكل قسري؟"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ١٢٦-١٢٧ ، ١٠٠) وبذا تحول الوطن إلى منفى طارد ، والمنفى إلى وطن جاذب في ظل من وعد ببناء عراق آمن مستقر .

كما وظّف الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي ثنائية الموحد والمجزّأ ؛ لإثبات زيف شعارات بريمر التي ادعى فيها هو ورئيسه أنهم جاءوا إلى العراق "محررين لا محتلين "ومن أجل إعادة بنائه ومساعدة أهلة في النهوض به على المستويات كافة ، وذلك من خلال قيام (سامي) بكشف مخططات بريمر "أرى بلدي يتحول الى فتات؟"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٥٢) بعد أن تأكد (سامي) من عمل بريمر في السر على تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم وتفتيت وحدة أراضيه"يخططون لتقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام، المنطقة الكردية بالشمال، والمنطقة السنية في الغرب، والمنطقة الشيعية في الجنوب والشرق، وبغداد تصبح وحيدة من دون أخواتها.... أما مخيلتي فكانت ترى العراق قد وضع على طاولة جزار، وقد أمسك ساطوره وسيباشر بتقطيع أوصاله"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٥٨) بعد أن غلق الكثير من شوارعه ، وعزل الكثير من أحيائه عن بعضها ، وحاول إعادة رسم ملامح بغداد ، وفرض واقع جديد ينسجم مع مخططات إشعال الفتنة الطائفية فيها ؛ إذ "كانت الشوارع مقطعة، والسيارات كانت شبه مختفية من الشوارع، ولولا توزع البنايات لشعرتُ أنني أعيش في زمنٍ سالف"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٠) بسبب التشوه الكبير الذي أفرزته القطوعات المتغيرة باستمرار"كانت قطوعات الشوارع غير ثابتة فالشارع الذي كان مفتوح (كذا) بالأمس أغلق اليوم وبالعكس"(دهر، ٢٠٢٥، ص. ٥٦) ولم يعد بوسع الناس معرفة كيفية التواصل مع بعضهم ، ضمن خطة فضحت ما كانت سياسية بريمر السرية تضمره للعراق وشعبه ، وتحاول إيهام الجميع بخلافه ، ولولا عمل (سامي) مع بريمر بهدف

الاختراق لانطلت هذه الخدعة عليه إيضا ، ولم يكتشف ما كان يحوكه من مؤمرات خبيثة تستهدف وحدة البلد والشعب ، بدءا من تقطيع أصغر إحيائه البلد بغلق شوارعه "عند عودتي من القصر، وقبل وصولي للشارع الرئيسي لمنطقتي (البتاويين)، المكان الذي أستطاع فيه سائق الأجرة أن يوصلني أليه بأعجوبة بعد دخوله إلى طرقات مختلفة، ودار بي في شوارع كثر، بسبب تقطع الطرق الرئيسية وبعض من الطرق الفرعية، لذا طال لي الجلوس بقرب السائق لأكثر من ساعتين"(دهر ، ٢٠٢٥ ، ص. ١٨) فاستشعر (سامي) مرة أخرى من خلال تقطيع أوصال وطنه ، وغلق شوارع أحيائه تحول وطنه في ظل إدارة بريمر إلى أوصال مقطعة ومعزولة تحول دون تواصل سكانها واتصالهم ، وتعمل على ترسيخ القطيعة بين أفرادها بدلا من إحلال التعايش والتفاعل بينهم .

النتائج:

١- لقد حرص الخطاب المضاد للتخيل التاريخي في رواية (كنت مع بريمر) لأحمد دهر على توظيف العتبات النشرية ، من خلال تضمين الغلاف الأمامي صورة جانبية للسفير الأمريكي ، وقد غطّت عينيه وأذنه ورقة دولار أمريكي معفوسة للوشاية بمنظور الرواية المضاد لمنظور كتاب بول بريمر (عام قضيته في العراق – النضال لبناء غد مرجو) والتأكيد على أن المطامع الاقتصادية هي السبب الحقيقي الذي كان وراء احتلال العراق في ٢٠٠٣ وليس تحرير العراق ، وإعادة بنائه كما ادعى الرئيس الأمريكي بوش الابن ، والسفير بول بريمر رئيس سلطة الائتلاف المؤقتة . فضلا عن توظيف الغلاف الخلفي من خلال قلب صورة بريمر رأسا على عقب للإيحاء بانقلاب النهاية، وتوظيف الخطاب البصري في إعلان فشل أجندة المحتل، وتمثيل سقوط سلطته وإهانتها بتنكيس صورة ممثله، من خلال إظهارها بالضد مما بدت عليه، أو حاولت أن تبدو عليه في البداية.

٢- كما حرص الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي في رواية (كنت مع بريمر) لأحمد دهر على توظيف الشخصيات الخيالية والمرجعية ، من خلال العناية ببناء شخصية المترجم(سامي محمد شداد) على نحو مضاد لما شاع عنها بعد احتلال العراق في ٢٠٠٣ إذ بدت شخصية وطنية ناطقة بصوت المهمشين ضد المركز (بريمر) من خلالها منحها سلطة السرد في الرواية ، وجعلها منتجة للإيديولوجيا مقابل الإيديولوجيا التي حرص بريمر على انتاجها في كتابه (عام قضيته في العراق – النضال لبناء غد مرجو) فضلا عن قلب الغاية من عمل (سامي) مترجما لبريمر ، والتأكيد على أنه لم يختر العمل مع المحتل لخدمته مقابل الحصول على اللجوء ، وإنما عمل معه لاختراق دائرته الأمنية ، والتسلل إلى كواليس مؤامرته بهدف كشفها وفضح مخططاتها ، مع وعيها سلفا بالثمن الذي يمكن أن تدفعه جراء ذلك ، والذي كان في النهاية تضحية (سامي) بحياته دفاعا عن وطنه !! في أعقاب كشف مؤمرات بريمر، واتهام الأخير له بـ " الخيانة " والإيعاز للمسلحين التابعين لبريمر باغتياله!! ليكون هذا المصير المختلف والمغاير لشخصية (سامي)المترجم ونهايتها على هذا النحو جزءا من الخطاب المضاد للتخيل التاريخ في الرواية.

كما حرص الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي على إعادة بناء شخصية بريمر على نحو مضاد لما بدت عليه في مذكراته (عام قضيته في العرق – النضال لبناء غد مرجو) إذ بدا حاكما فاشلا كاذبا يحوك مؤامرات خبيثة لتقسيم العراق وتفتيته، وإحراقه من خلال إثارة

الانقسامات الطائفية، واستقطاب المجرمين ودعمهم، وإصدار القرارات التي كانت سببا لاستباحة أمن العراق وإشاعة الفوضى فيه، والانفلات الأمني وتراجع الخدمات على مختلف المستويات وتدهورها من سيء إلى أسوأ.

٣- لقد وظف الخطاب المضاد للتخيّل التاريخي في رواية (كنت مع بريمر) لأحمد دهر بناء المكان من خلال قلب تقاطباته ، وتوظيف دلالات ثنائياته الثقافية،وتأكيد زيف شعارات بريمر التي وعدت العراقيين ببناء عراق يرفل بالأمن والأمان والحرية، والسلام والتطور والإزدهار والاستقرار ، وذلك من خلال قلب العراق من مكان أليف كما وعد بريمر إلى مكان معاد ، يعج ويضج بالمزيد من مظاهر الموت والخراب والفساد والدمار ، وانتشار الخوف والرعب ، والفوضى والاختطاف والاعتقال ؛ ليبدو العراق في النهاية في نهاية المطاف بالضد تماما مما وعدت به شعارات بريمر الزائفة ، وحرصت على الإيهام به .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، د. عبد الله إبراهيم ،٢٠١١، التخيّل التاريخي، السرد والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

أشكروفت، بيل، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية – المفاهيم الرئيسة، تر أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، ٢٠١٠، المركز القومي للترجمة، ط ١، القاهرة

باختين، ميخائيل، ١٩٨٧، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.

بحراوي، حسن، ١٩٩٠، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت.

بريمر، بول، ٢٠٠٦، عام قضيّته في العراق - النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

بلعابد، عبد الحق، ٢٠٠٨، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر.

بورنوف، رولان، اوئيله، ريال، ١٩٩١ عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

بوعزة، محمد، ٢٠١٠، تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر.

ثامر، فاضل، التاريخي والسردي في الرواية العربية، دار الروافد، بيروت، ٢١٠٨.

الجوهري ، كريم ، عشرون عاما على حرب دبليو بوش بالعراق بداية النهاية للنظام العالمي القديم ، https://qantara.de/ar/article

الخليل، د. سيمر ،٢٠١٤، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت.

حمداوي، د. جميل، ٢٠١٥، سمي وطيقا العنوان، دار الريف، المغرب.

داود، د. علي كاظم، ٢٠٢٦، الرواية وسيطا معرفيا لإعادة كتابة التاريخ، ضمن كتاب ملتقى السرد الأول في واسط، دار السرد، العراق.

داود، د. علي كاظم، ٢٠٢٦، ما قاله السرد ما أخفته السلطة – التاريخ المضاد في الرواية العراقية، دار الورشة، بغداد.

دراج، د. فيصل، ٢٠٠٤، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية، الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء المغرب. ط١

دهر، أحمد، ٢٠٢٥، كنت مع بريمر، دار وتر وكلمات، العراق.

ديورانت، ول واريل، ١٩٩٣، دروس التاريخ، ترجمة علي شلش، دار سعاد الصباح، الكويت.

رانسير، جاك، ٢٠١٠، سياسة الأدب، ترجمة رضوان ظاظا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

السامرائي، د. سهام، ٢٠١٥، العتبات النصية في ((رواية الأجيال)) العربية، دار غيداء، عمان.

الضبع، محمود، ٢٠١٠، الرواية الجديدة – قراءة في المشهد العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

غاصون، بالشار، ١٩٨٤، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الغزي ، شاكر ، ٢٠٢٥ ، التخيُّل التأويلي للتاريخ في الرواية العربيَّة ، جريدة الصباح ، https://alsabaah.iq/110453-.html

القاعود، د. حلمي محمد، ٢٠١٠، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ.

اللاوي، د. عبد الله عبد، ٢٠١٢، حفريات الخطاب التاريخي العربي – المعرفة السلطة والتمثيلات، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.
لوكاش، غيورغ، ٢٠٢١، الرواية التاريخية، ترجمة د. صالح جواد الكاظم، منشورات الجمل، بغداد.
هامون، فيليب، ٢٠١٣، ترجمة سعيد بنكراد، سميولوجيا الشخصيات، دار الحوار، سوريا.
وايت، هايدن، ٢٠١٧، محتوى الشكل – الخطاب السردي والتمثيل التاريخي، ترجمة د. نايف الياسين، مراجعة فتحي المسكيني، هيئة البحرين للثقافة والاثار، المنامة.
ويليك، رينيه، وأوستن وارين، ١٩٧٢، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق.

Sources and References

The Holy Quran

Ibrahim, Dr. Abdullah Ibrahim, 2011, *Historical Imagination: Narrative, Empire, and the Colonial Experience*, Arab Institute for Research and Publishing, Beirut.

Ashcroft, Bill, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin. Post-Colonial Studies: The Key Concepts. Trans. Ahmad Al-Roubi, Ayman Helmy, and Atef Othman. Cairo: National Center for Translation, 2010, 1st edition.

Bakhtin, Mikhail, 1987, *The Novelistic Discourse*, translated by Mohamed Berrada, Dar al-Fikr for Studies, Publishing, and Distribution, Cairo.

Bahraoui, Hassan, 1990, *The Structure of the Novelistic Form*, Arab Cultural Center, Beirut.

Bremer, Paul, 2006, *My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope*, translated by Omar al-Ayoubi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.

Belaabed, Abdelhak, 2008, *Gérard Genette's Paratexts: From Text to Paratext*, Manshurat al-Ikhtilaf, Algiers.

Bourneuf, Roland, and Ouellet, Réal, 1991, *The World of the Novel*, translated by Nihad al-Tikriti, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya, Baghdad.

Bouazza, Mohamed, 2010, *Analysis of the Narrative Text*, Manshurat al-Ikhtilaf, Algiers.

Thamer, Fadhil, *The Historical and the Narrative in the Arabic Novel*, Dar al-Rawafid, Beirut, 2018.

Al-Jawhari, Karim, "Twenty Years Since George W. Bush's War in Iraq: The Beginning of the End for the Old World Order," https://qantara.de/ar/article

Al-Khalil, Dr. Samir, 2014, *A Glossary of Terms in Cultural Studies and Cultural Criticism*, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.

Hamdaoui, Dr. Jamil, 2015, *Semiotics of the Title*, Dar al-Rif, Morocco.

Daoud, Dr. Ali Kadhim, 2026, "The Novel as an Epistemic Medium for Rewriting History," in *Proceedings of the First Narrative Forum in Wasit*, Dar Al-Sard, Iraq.

Dawood, Dr. Ali Kadhim, 2026, *What the Narrative Said and What Authority Concealed: Counter-History in the Iraqi Novel*, Dar Al-Warsha, Baghdad.

Darraj, Dr. Faisal, 2004, *The Novel and the Interpretation of History: Theory, the Novel, and the Arabic Novel*, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco (1st ed.).

Dahr, Ahmed, 2025, *I Was with Bremer*, Dar Watar wa Kalimat, Iraq.

Durant, Will and Ariel, 1993, *The Lessons of History*, translated by Ali Shalash, Dar Suad Al-Sabah, Kuwait.

Rancière, Jacques, 2010, *The Politics of Literature*, translated by Radwan Zaza, Centre for Arab Unity Studies, Beirut.

Al-Samarrai, Dr. Siham, 2015, *Textual Thresholds in the Arabic "Generational Novel,"* Dar Ghaida, Amman.

Al-Dabaa, Mahmoud, 2010, *The New Novel: A Reading of the Contemporary Arab Scene*, Supreme Council of Culture, Cairo.

Bachelard, Gaston, 1984, *The Poetics of Space*, translated by Ghalib Halsa, University Establishment for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon.

Al-Ghazzi, Shaker, 2025, "The Interpretive Imagination of History in the Arabic Novel," *Al-Sabah* Newspaper, https://alsabaah.iq/110453-.html

Al-Qaoud, Dr. Hilmi Muhammad, 2010, *The Historical Novel in Our Modern Literature*, Al-Ilm wa al-Iman for Publishing and Distribution, Kafr El-Sheikh.

Al-Lawi, Dr. Abdullah Abd, 2012, *Excavations of Arab Historical Discourse: Knowledge, Power, and Representations*, Ibn al-Nadim for Publishing and Distribution, Algeria.

Lukács, György, 2021, *The Historical Novel*, translated by Dr. Salih Jawad al-Kazim, Al-Jamal Publications, Baghdad.

Hamon, Philippe, 2013, *Semiology of Characters*, translated by Said Benkrad, Dar al-Hiwar, Syria.

White, Hayden, 2017, the Content of the Form: Narrative Discourse and Historical Representation*, translated by Dr. Nayef al-Yasin, reviewed by Fathi al-Maskini, Bahrain Authority for Culture and Antiquities, Manama.

Wellek, René, and Austin Warren, 1972, *Theory of Literature*, translated by Muhyi al-Din Subhi, reviewed by Dr. Hossam al-Khatib, Supreme Council for the Care of Sciences, Arts, and Literature, Damascus.